مع قرينة تدل على الحدوث كقوله من القران المحدث فهو محمول على المصحف والقراة فاذا ذكر
مطلقا يحمل على الصفة الازلية فلا يجوز ان يقال القران مخلوق على الاطلاق **وسمع موسى كلام
الله تعالى قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما** اتى بالمصدر المؤكد لدفع حمل الكلام على المجاز
اى كلمه الله تكليما محققا واوقع له سماعا مصدقا والمعنى ان موسى عليه السلام سمع كلام
ربه لا ارتياب بلا واسطة الا انه من ورا الحجاب ولذا قال رب ارني انظر اليك في هذا الباب
قال شارح وكان يسمع الكلام من باطن الغمام الذى كالعمود وقد يغشاه الغمام وربما كان
يسمع الكلام من باطن الغمام النار وبارسال جبريل او غيره من الملايكة انتهى وفي الاخير
نظر اذ لا يحصل بها خصوصية له ولا مزية عن غيره واما ما قبله فلعله عليه السلام
وقع له الكلام في الاوقات المتعددة والاحوال المختلفة والا فالكلام الذى وقع له
اولا انما كان كما اخبر سبحانه بان نودى من الشجرة المباركة التى ظنها انها نارا وانما كانت
معدن انوار ومنبع اسرار ونتيجة ثمار واثمار في اسحار **وقد كان الله تعالى متكلما**
اى في الازل **ولم يكن كلم موسى** اى والحال انه لم يكن كلم موسى بل ولا خلق اصل موسى وعيسى
وقد كان الله خالقا في الازل ولم يخلق الخلق جملة حالية **والمعنى** ان الحق كان
خالقا قبل خلق الخلق وفي نسخة وكان الله خالقا قبل ان يخلق حقيقة بمعنى ان هذا النعت
فيه محقق لا مجاز كما قال ابن ابي شريف انه كان خالقا بالقوة فانه يوهم انه بحث الامكان
واحتمال الوقوع واللاوقوع في الازمان وليس الامر كذلك فانه كان خالقا متحقق الوقوع
في وقت اراد فيه الشروع فتأخر متعلق الكلام والخلق من موسى عليه السلام وساير الانام
لا يوجب نفي صحة الكلام اى ونفي تحقق الخلق عن الحق عند علما الاعلام لان كل شي يكون
في القوة ثم يصير الى الفعل فهو حادث اذ كل ممكن الوجود حادث كما صرحوا به وايضا فرق
واضح وبون لايح بين من هو قادر على الكتابة الا انه يوخرها الى وقت الارادة وبين الكاتب
بالقوة حيث انه عاجز في الحالة الراهنة ومحتاج لاحتمال في الازمنة الاتية **والحاصل**
انه سبحانه كما قال الطحاوى كما ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية
استفاد اسم البارى فله معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق وكما انه محيى
الموتى بعد ما احيى استحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق هذا الاسم الخالق قبل
انشائهم ذلك بانه على كل شي قدير والله على كل شي قدير وكل امر عليه يسير ليس كمثله شي
اى كذاته وصفاته وهو السميع البصير فقوله ليس كمثله شي رد على المشبهة وقوله وهو
السميع البصير رد على المعطلة **وقد** قال نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى من شبه الله
بخلقه اى ذاتا وصفة فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه من الصفات الذاتية والفعلية
فقد كفر وقال الطحاوى ومن لم يتوق النفى والتشبيه زل ولم يصب التنزيه ثم من جملة ما قالوا
في قوله ليس كمثله شي انه اريد به المبالغة اى ليس لمثله مثل لو فرض المثل وكيف ولا مثل له
وقد علمت بالادلة الشرعية والعقلية استحالة قيام الحوادث بذات الله الازلية الابدية
فكلامه قديم وكذا صفة خلقه واما متعلقاتهما فحادث في وقت تعلق الارادة بوقوعه
وفي نسخة كان الله متكلما متاخرا اعنى قوله وكان الله خالقا وعلى كل تقدير فالجملة المتعلقة
بالخلق اعتراضية للاشعار بان خلق موسى عليه السلام حادث فانشاء خلقا لا نام فكيف
مقامه في مرام الكلام **فلما كلم** اى الله كما في نسخة **موسى** **والمعنى** اراد تكليمه اياه

كلمه

كلمه بكلامه الذى هو له صفة اى قديمة وفي نسخة هو صفة له وفي نسخة هو من صفاته
في الازل يعني انه كلمه بمضمون كلامه القديم الازلي الاقدس كما نقش الكلمات الدالة
عليه في اللوح المحفوظ الانفس قبل خلق السموات والارض والانفس فكلمه على وفق تلك
الكلمات المسطورة فتلك الكلمات المزبورة والكلمات التى سمعها موسى عليه السلام من
الشجرة المشهورة حادثة مخلوقة الا انها ادلة كلامه الذى هو صفته الازلية الحقيقية
وقال شارح عقيدة الطحاوى فقول الامام ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذى هو من صفاته
يعلم انه حين جاء كلمه لا انه لم يزل ولا يزال ازلا وابدا يقول يا موسى كما يفهم ذلك من قوله
تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ففهم منه الرد على من يقول من اصحابه انه معنى
واحد قايم بالنفس لا يتصور ان يسمع وانما يخلق الله تعالى الصوت في الهوى كما قال ابو
منصور الماتريدى وقول الامام الذى هو من صفاته رد على من يقول انه حدث له وصف
الكلام بعد ان لم يكن متكلما وبالجملة فكل ما يحتج به المعتزلة مما يدل على كلام متعلق بمشيئته
وقدرته وانه يتكلم اذا شا وانه يتكلم شيا بعد شي فهو حق يجب قبوله وما يقول به من
يقول ان كلام الله قايم بذاته وانه صفة له والصفة لا تقوم الا بالموصوف فهو حق يجب
قبوله والقول به فيجب الاخذ بما في قول كل من الطايفتين من الصواب والعدول
عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما وهذا فصل الخطاب **وقد** قال عليه السلام اعوذ
بكلمات الله وهو عليه السلام لم يتعوذ بمخلوق بل هو كقوله اعوذ برضاك وقوله اعوذ
بعزة الله وقدرته وكثير من متاخرى الحنفية على انه معنى واحد والتعدد والتكثر والتجزى
والتبعض في الحاصل في الدلالات لا في المدلول وهذه العبارات مخلوقة وسميت
كلام الله لدلالتها عليه وتاديه فان عبر بالعربية فهو قران وان عبر بالعبرية فهو توراة
فاختلفت العبارات لا الكلام قالوا وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازا وهذا كلام
فاسد فان لازمه ان معنى قوله ولا تقربوا الزنا هو معنى قوله واقيموا الصلاة ومعنى
اية الكرسى هو معنى اية المداينة ومعنى سورة الاخلاص هو معنى سورة تبت ثم قال ومن
قال ان المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله او حكاية كلام الله وليس فيها كلام الله
فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الامة وكلام الطحاوى يرد قول من قال انه معنى
واحد لا يتصور سماعه منه وان المسموع المنزل المقرو والمكتوب ليس كلام الله وانما هو
عبارة فان الطحاوى يقول كلام الله منه بدا بلا كيفية اى لا يعرف كيفية تكلمه به وكذا
قال غيره من السلف منه بدا واليه يعود وانما قالوا منه بدا لان الجهمية من المعتزلة
وغيرهم كانوا يقولون انه خلق الكلام في محل فبدا الكلام في ذلك المحل فقال السلف
منه بدا اى هو المتكلم به فمنه بدا لا من بعض المخلوقات كما قال تنزيل من الرحمن الرحيم
ومعنى قولهم واليه يعود انه يرفع من الصدور والمصاحف كما ورد في الاحاديث انتهى
والاظهر عندى ان معنى واليه يعود يرجع اليه علم تفصيل كيفية كلامه وكنه حقيقة
مرامه فان سماع موسى كلامه لا يتصور ان يقال سمعه كله او بعضه **وصفاته** وفي نسخة
لم يزل صفاته **كلها** اى ونعوت البارى جميعها واقعة **بخلاف صفات المخلوقين**
اى لا تشابه بعضها بعضا وان وقع الاشتراك الاسمى في صفات الحق ونعت الخلق من العلم والقدرة
والرؤية والكلام والسمع ونحوه كما بينه بقوله **يعلم** اى الله تعالى كما في نسخة **لا كعلمنا**

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)